معانى حروف الجر فى سورة الإنسان

الدكتور

سعد حسن حمودة

كلية التربية

جامعة المنصورة

٢٠٠٤م

المقدمـــــــة

جمهور النحاة – فيما أظن – على قول رجل واحد، حين يذكر الترادف بين معانى حروف الجر، يؤكد هذا نصوص فى مصنفاتهم، نقلناها لنثبت بـــها دعوى ما قالوه. ونستثنى منهم ابن يعيش، الذى نـــزع منزعـــاً خاصـــاً فـــى المسألة، يقربه من أن يكون أحد المفسرين، لا واحداً مـــن مشـــاهير النحـــاة حسب. ذلك قول ما نقلنا عنه من نصوص فى هذا الشأن.

جهد النحاة فى تحديد الآيات التى رأوا حروف الجر فيها تتناوب المواقع فيما بينها بدعوى ترادف المعنى، ومن ثم سوغوا أن يكـــون حـــرف مكـــان حرف، فجاءت نصوصهم تحمل نماذج متمثلة فى بعض آيات القرآن الكريـم، يواطئون بها ما خطر لهم من نظر فى هذا الصدد.

وربما أوحى بفكرة هذا البحث، قول النحاة بالترادف بين معانى حروف الجر فى القرآن الكريم بشكل عام، فكان ميدان الفكرة سورة الإنسان، لما كان يستوقفنى فيها من نحو قوله تعالى : (عينا يشرب بها ٠٠)، ثم يحيلنى نحـــو ذلك فى هذه السورة إلى قوله تعالى فى سورة (طه) (ولأ صلبنكم فى جـــذوع النخل). وهكذا يحيل تذكر معنى حرف فى آية إلى معنى حرف آخر فى آيـــة أخرى. ثم يستقر الأمر أن تكون سورة الإنسان هى موضوع الدرس.

وعلى ذلك كان كلام النحاة فى هذا الصدد محل نظر؛ لأنه طرح عندى سؤالا مهما : ألم يكن فى مقدور الإبداع القرآنى أن يجعل كذا فى مكان كذا ؟ بلى ولا ريب . ولذلك كانت وجهتنا لقاء النص القرآنى الكريم نســـتلهم منـــه حقيقة كل شئ.

وقع البحث فى ستة مباحث :

المبحث الأول : إلى

المبحث الثانى : الباء

المبحث الثالث : على

المبحث الرابع : فى

المبحث الخامس: اللام

المبحث السادس: مِنْ

واستتبع ذلك خاتمة البحث، لخصنا فيها أهم النتائج التى تـــبرز قيمـة العمل فى واقعها دون تزيد فيها. وبعد ذلك ثبت المصادر والمراجع.

أسأل الله أن يكون العمل خالصاً لوجهه الكريم، والله ولى التوفيق.

سعد حسن حمودة

المبحث الأول

إلى

يقول ابن عقيل : "يدل على انتهاء الغاية "إلى"، "حتى"، "اللام"؛ والأصل من هذه الثلاثة "إلى" فلذلك تجر الأخير وغيره، نحو : سرت البارحة إلى آخر الليل أو إلى نصفه ٠٠"[1].

ويقول ابن هشام : "ومعنى "إلى" و "حتى" انتـــهاء الغايـــة، مكانيـــة أو زمانية، نحو : (من المسْجِد الحَرَامِ إلى المسْجِد الأَقْصى) [الإسراء ١]، ونحو: (أتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيل)[2] [البقرة ١٨٧]. لكنه يَذكر فى المغنى أن له – أى لـــ "إلى" – ثمانية معان :

أ – انتهاء الغاية (٠٠٠ إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى).

ب – المعية ٠٠٠ وبه قال الكوفيون.

ج – التبيين.

د – مرادفة اللازم (والأَمْرُ إِلَيْكِ) [النمل ٣٣].

هـــ– موافقة "فى"

فَلاَ تَتْرُكَنِّى بالوَعِيدِ كأَنَّنِى
إلى النَّاسِ مَطْلِيٌّ به القارُ أَجْرَبُ

و – الابتداء

تقُولُ وقد عالَيْتُ بالكُورِ فَوقَها
أَيُسقى فَلاَ يَرْوَى إلىَّ ابنُ أَقْمرا ؟

أى : مِنِّى

ز – موافقة "عند"

---

[1] شرح بن عقيل : ١٧/٢.

[2] أوضح المسالك : ٤٧/٣.

أم لا سبيل إلى الشباب، وذكره
أشهى إلى من الرحيق السلسل ؟

ل – التوكيد [١].

وابن الحاجب يرى أنها للانتهاء وبمعنى "مع" قليلا"[٢]

على أنني أرى ابن يعيش وقد اقترب من جمهور المفسرين، حين يجعل معنى ثابتا للحرف، ثم يطرأ عليه شئ يلابس هذا المعنى، فيكون هذا الذى يوهم بالترادف. ولذلك يقول: "ولا يعدل عن هذا الأصل إلا بدليل، وإذا قلت : كتابى إلى فلان، فمعناه أنه غاية الكتاب؛ إذ لا مطلوب بعده – ومنه قوله تعالى :

أ – (انظروا إلى ثمره إذا أثمر) [الأنعام ١٩]
ب – (ولما رجعوا إلى أبيهم) [يوسف ٦٣]
ج – (ألا إلى الله تصير الأمور) [الشورى ٥٣]

فالثمر غاية للنظر، والأب غاية الرجوع."[٣]

ثم يقول ابن يعيش : "فأما قول من جعلها بمعنى "مع"، وبمعنى غيرها من الحروف فيحتج بقوله تعالى :

أ – (من أنصارى إلى الله) [الصف ١٤]
ب – (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) [النساء ٢]

ويحمل عليه قوله تعالى :

(فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) [المائدة ٢]

---

[١] المغنى : ١/٧٤-٧٥.
[٢] شرح الكافية : ٢/٣٢٤.
[٣] شرح المفصل : ٨/١٥.

قالوا : لأنه لا يُقال : نصرتُ إلى فلان، بمعنى نصرته، ولا أكلت إلى مال فلان، بمعنى أكلته، وإنما المعنى يعود إلى أن يكون بمعنى "مع"؛ ولذلك دخلت المرافق فى الغسل. والتحقيق فى ذلك أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يصل إلى معموله بحرف، والآخَر يصل بآخَر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيذاناً بأن هذا الفعل فى معنى الآخر."[1]. ثم أخذ يسوق أمثلة على هذا، نحو :

(أحل لكم ليلة الصيام الرفث) [البقرة ١٨٧]

فيقول : "..لا تقول رفثت إلى المرأة، إنما يقال : رفثت بها، لكنه لما كان الرفث هنا بمعنى الإفضاء، وكنت تعدى أفضيت بإلى، جئت بـ (إلى) إيذانا بأنه فى معناه."[2]

طال ما نقل عن ابن يعيش، لأنه – أولا – يعرض وجها غير الذى رأينا عند جمهور النحاة، ثم هو – ثانيا – يقترب من الحل الذى يفصل القول فى مسألة الزعم بالترادف فى القرآن الكريم.

وعلى ذلك يمكن أن نعرض لأقوال المفسرين – بعضهم – لنقف على حقيقة معنى حرف الجر "إلى" فى سورة الإنسان.

قوله تعالى : (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) [الإنسان ٢٩].

لم يقع حرف الجر "إلى" فى سورة الإنسان إلا مرة واحدة فى هذه الآية الكريمة. غاية اتخاذ السبيل التقرب إلى الله. هكذا يفهم من كلام الشيخ الرازى. يقول : "والمعنى أن هذه السورة بما فيها من الترتيب العجيب والنسق

---

[1] شرح المفصل : ١٥/٨.

[2] شرح المفصل : ١٥/٨.

البعيد، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، تذكرة للمتأملين ٠٠ فمن شـــاء الخير لنفسه فى الدنيا والآخرة، اتخذ إلى ربه سبيلاً. واتخاذ السبيل إلـــى الله عبارة عن التقرب إليه."[1]. فالتقرب إليه سبحانه هو الغاية الأسمى التى تنتـهى عندها أعمال العباد. وينقل أبو حيان عن الزمخشرى قوله : "لمن شاء ممـــن اختار الخير لنفسه، والعاقبة، واتخاذ السبيل إلى الله عبارة عن التقريب إليـــه، والتوسل بالطاعة."[2]

خلاصة القول فى "إلى" :

أولاً : هو حرف لانتهاء الغاية.

ثانياً : جواز تأول "إلى" بمعنى غير انتهاء الغاية أمر مرهون بالفعل المتعلق به هذا الحرف، فقد يكون فى معنى فعل آخر، ومن ثم يقع "إلى" موقع حرف آخر.

---

[1] مفاتيح الغيب : ٢٣١/٣٠.

[2] البحر المحيط : ٤٠١/٨.

المبحث الثانى

الباء

جاءت الباء فى سورة الإنسان فى الآيات التالية :

(عَيْناً يشْرَبُ بِهَا عِبَادُ الله ٠٠) [الإنسان ٦]

يُوفُون بالنَّذْرِ ٠٠) [الإنسان ٧]

(وجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً ٠٠) [الإنسان ١٢]

(ويُطافُ ٠٠٠ بآنية ٠٠] [الإنسان ١٥].

ثم بعد ذلك نجتزئ من كلام النحويين بعض ما قالوا عن الباء. لنقف على حقيقة ما تأولوه حين نسجل خواطر المفسرين، نقابل بها ذلك الذى تكلموا به، يفسرون معانى حروف الجر، لمّا خلعوا عليها أحياناً صفة الترادف فى القرآن الكريم، وهو ما أحسبه بمنأى عن إرادة التعبير فى النص الكريم. فإلى بعض ما قال النحاة.

يقول المبرد فى كلام له عن معانى حروف الجر : "ومنها الباء التى تكون للإلصاق، والاستعانة. فأما الإلصاق فقولك : مررت بزيد، وألممت بك. وأما الاستعانة فقولك؛ كتبت بالقلم، وعمل النجار بالقدوم."[١]. ويزيد ابن هشام على ذلك، حتى جعل لها أربعة عشر معنى منها :

- التعدية. وتسمى باء النقل ٠٠ وهى المعاقبة للهمزة فى تصيير الفاعل مفعولاً ٠٠٠ ذهبت بزيدٍ.
- السببية. ومنه : لقيتُ بزيدٍ الأسدَ، أى بسبب لقائى إياه.
- المصاحبة. نحو : (اْهبطْ بِسَلاَم) [هود ٤٨].

---

[١] المقتضب : ٣٩/١.

- الظرفية، نحو (ولقد نصركم الله ببدر) [آل عمران ١٢٣].
- البدل.
- المقابلة، وهى الداخلة على الأعواض ٠٠٠ نحو قولهم "هذا بذاك".
- الاستعلاء، نحو : (من إن تأمنه بقنطار)[1] [آل عمران ٧٥].

وغير ذلك مما قدمه النحاة فى معانى هذا الحرف.

على أننى ألاحظ أن كلام النحاة لم يخل من التعويل على معنى الترادف فى حروف الجر فى القرآن الكريم. يدل على ذلك قول ابن هشام فى حديثه عن معانى الباء : "التاسع[2]: المجاورة كـ (عن)، فقيل : تختص بالسؤال، نحو (فاسأل به خبيرا) [الفرقان ٥٩] بدليل (يسألون عن أنبائكم) [الأحزاب ٢٠] وقيل : لا تختص به، بدليل قوله تعالى : (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) [الحديد ١٢] ٠٠٠ وتأول البصريون (فاسأل به خبيرا) على أن الباء للسببية، وزعموا أنها لا تكون بمعنى عن أصلا، وفيه بعد ٠٠"[3]. وفى حديث ابن هشام عن معنى الاستعلاء للباء يقول : "نحو : (من إن تأمنه بقنطار) [آل عمران ٧٥] بدليل (هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل) [يوسف ٦٤] ٠٠"[4]. ويواصل ابن هشام حديثه عن معانى حرف الباء فى القرآن الكريم، فيقول : "الحادى عشر : التبعيض، اثبت ذلك الأصمعى والفارسى ٠٠ وابن مالك، قيل : والكوفيون، جعلوا منه (عينا يشرب بها عباد الله) وقوله :

---

[1] انظر : أ – المغنى : ١/١٠١-١٠٤ . ب – أوضح المسالك : ٣/٣٥-٣٨.
ب– الكافية : ٢/٣١٩. ج – شرح ابن عقيل : ٢/١٧،١٨.

[2] يقصد التاسع من معانى الباء.

[3] المغنى : ١/١٠٤.

[4] المغنى : ١/١٠٤.

شربن بماء البحر ثم ترفعت

متى لجج خضر لهن نئيج"[١]

وهكذا مما يطول الكلام فيه. يبقى – إذا – كلام المفسرين في هذا الصدد.

يقول الشيخ الرازى عن قوله : (عينا يشرب بها ٠٠) "٠٠٠ وأما الغين فيها يمزجون شرابهم، فكأن المعنى : يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول شربت الماء بالعسل."[٢].

ويقول أبو حيان : "٠٠٠ وفى "يشرب بها"، أى يخرج شرابها بها، أتى بالباء الدالة على الإلصاق، والمعنى : يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول شربت الماء بالعسل، أو ضمن يشرب معنى يروى، فعدى بالباء. وقيل الباء زائدة. والمعنى : يشربها."[٣].

ويقول الفراء : "وقوله عز وجل (يشرب بها) و "يشربها" سواء في المعنى، وكأن يشرب بها: يروى بها، وينقع ٠٠ وأما يشربونها فبين ٠٠٠ ومثله : إنه ليتكلم بكلام حسن، ويتكلم كلاما حسنا."[٤].

يتبين من نصوص المفسرين ما يأتى :

١ – جاءت الباء فى هذه الآية الكريمة دالة على معنى المزج بين شيئين، ولذلك قالوا فى تمثيلهم "شربت الماء بالعسل". وأحسب أنها إشارة خفية

---

[١] المغنى : ١٠٥/١.

[٢] مفاتيح الغيب : ٢١٣/٣٠.

[٣] البحر : ٣٩٥/٨.

[٤] معانى القرآن : ٢١٥/٣.

لمعنى المزج، ما كانت لتغيب عن أهل الصناعة، ولذلك لا أظن النحويين أتوا بهذا المعنى فى حديثهم عن معانى الباء.

٢ – ويمكن أن تكون الباء صلة الشراب الممزوج، كما قال الشيخ الرازى فى كلامه عن قوله تعالى : (فاسأل به خبيرا) حيث قال : "والباء من صلة الخبير، وذلك الخبير هو الله عز وجل..."[١]

٣ – وربما ضمن الفعل "يشرب" معنى "يروى" فعدى بالباء[٢].

٤ – ذكر الشيخ الرازى فى خواطره عن قوله تعالى : (فاسأل به) قول الزجاج : "قوله "به" معناه : عنه، والمعنى : فاسأل عنه خبيرا، وهو قول الأخفش .."[٣] . فكأنى أرى القول : بترادف بعض حروف الجر فى القرآن الكريم من كلام النحاة.

وعن قوله تعالى : (يوفون بالنذر).

يقول الشيخ الرازى : "... للمفسرين فى تفسير الآية أقوال. أولها : أن المراد من النذر هو النذر فقط، ثم قال الأصم : هذا مبالغة فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات؛ لأن من وفى بما أوجبه على نفسه، كان بما أوجبه الله عليه أوفى، وهذا[٤] التفسير فى غاية الحسن.". ثم يذكر بعد ذلك من أقوال المفسرين أن "المراد بالنذر ههنا كل ما وجب عليه، سواء بإيجاب الله تعالى ابتداء، أو بأن أوجبه المكلف على نفسه، فيدخل فيه الإيمان وجميع الطاعات ..."[٥]. وهذا ما قاله أبو حيان[٦] ، وابن كثير من قبله[٧] .

---

[١] مفاتيح الغيب : ٩١/٢٤.
[٢] انظر تفسير القرآن العظيم : ٤٥٤/٤.
[٣] مفاتيح الغيب : ٩١/٢٤.
[٤] مفاتيح الغيب : ٢١٤/٣٠.
[٥] مفاتيح الغيب : ٢١٤/٣٠.
[٦] البحر المحيط : ٣٩٥/٨.
[٧] تفسير القرآن العظيم : ٤٥٤/٤.

نستنتج من تلك النصوص ما يأتى :

أولا : ربما جاءت الباء هنا فى معرض الالتزام بما يقطع على النفس من باب الوجوب، ومن ثم يكون الوفاء به لله ألزم.

ثانيا : التسليم بأن الباء "للإلصاق الحقيقى والمجازى ... وهو تعليق الشئ بالشئ واتصاله به ..."[١]، كلام فيه نظر أحيانا، لأن محاولة إيجاد صلة بين الإيفاء بالنذر والإلصاق من قريب أو من بعيد، لا تخلو من التعسف.

ثالثا : على أننى أرى معنى السببية فى هذه الباء هنا فى هذه الآية الكريمة، من قبل أن الوفاء بالنذر بسبب خوفهم من ذلك اليوم المستطير شرا.

وقوله : (وجزاهم بما صبروا).

يقول ابن كثير : ".. أى بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم جنة وحريرا، أى منزلا رحبا.."[٢].

ويقول الشيخ الرازى : "والمعنى : وجزاهم بصبرهم على الإيثار، وما يؤدى إليه من الجوع والعرى."[٣].

لعل سببية الباء هنا صريحة، لأن الجزاء بسبب الصبر. ولأن السبب صريح فيها، لم يكن هناك من احتمال التأول والقول بالترادف بين الباء وأى حرف آخر.

وقوله : (ويطاف عليهم بآنية)

---

[١] الزركشى : البحر المحيط : ٢٦٦/٢.

[٢] تفسير القرآن العظيم : ٤٥٥/٤.

[٣] مفاتيح الغيب : ٢١٩/٣٠.

يقول ابن كثير : "أى يطول عليهم بأوانى الطعام، وهى من فضة، وأكواب الشراب، وهى من الكيزان التى لا عرى لها ولا خراطيم."[1].

ويقول الشيخ الرازى : "٠٠ وإذا دلت هذه الآية على أن إناء شربهم يكون من الذهب، فكيف ذكر ههنا أنه من الفضة ؟ . والجواب أنه لا منافاة بين الأمرين، فتارة يحقون بهذا، وتارة بذاك."[2].

ويقول أبو حيان : "لما وصف – تعالى – طعامهم، وسكناهم، وهيئة جلوسهم، ذكر شرابهم، وقدم ذكر الآنية التى يسقون منها."[3].

من هذه النصوص يظهر لى :

١ – ظهور معنى الإلصاق معنى من معانى الباء، وربما كان أهم معانيها – حقيقة ومجازا –، كما يذكر النحاة.

٢ – وظهور معنى الإلصاق بين فى العلاقة بين الطائفين والآنية التى يمسكون بها، وهم يطوفون، وهى علاقة شمول المطاف عليهم بهذه الآنية، إذ الفعل "طاف" تعلق به كل من :

- "عليهم" إفادة للشمول.
- "بها" إفادة للملاصقة المتمثلة فى حمل الآنية.

٣ – ثم إن معنى الإلصاق يخيل لى معنى المداومة، من قبل أن الطائفين لا ينفكون عن حمل هذه الآنية، استعدادا للأمر بالطواف، وبالسقى.

خلاصة الرأى فى الباء على ما أرى ما يأتى :

---

[1] تفسير القرآن العظيم : ٤/٤٥٦١.

[2] مفاتيح الغيب : ٢٢٠/٣٠.

[3] البحر المحيط : ٣٩٧/٨.

أولا : الفعل الذى تتعلق به الباء، يجب أن تفهم دلالته –من خلال السياق– فهما صحيحا لتحديد معنى هذا الحرف.

ثانيا : ربما تحقق من خلال هذا العرض الذى قدمنا. وقد تمثل فيما يأتى :

أ – جاءت الباء دالة على المزج من فهم العلاقة بين :

يشرب و بها.

وذلك من خلال السياق على النحو الذى قدم.

ب – كما رأينا بعض الآراء التى تجعل "يشرب" فى معنى "روى" فعلا تعدى بالباء.

ثالثا : رأينا الباء فى معرض الالتزام بما يقطع على النفس، وهـــو غايــة الوفاء، وهو معنى أوجده فهم العلاقة بين :

الفعل : "يوفون" والمتعلق به : "بالنذر".

رابعا : ثم هى للسببية المجردة أحيانا ، التى لا تقبل معنى غيرها.

خامسا : ولم يخل الأمر من ظهور معنى الإلصاق الذى قال به النحـــاة، دون حاجة إلى معنى آخر.

المبحث الثالث

على

جاء هذا الحرف فى سورة الإنسان فى الآيات التالية :

(هل أتى على الإنسان ٠٠٠) [الإنسان ١]

(على حبه ٠٠٠) [الإنسان ٨]

(على الأرائك ٠٠٠) [الإنسان ١٣]

(ودانية عليهم ٠٠٠) [الإنسان ١٥]

(ويطوف عليهم ٠٠٠) [الإنسان ١٩]

ذكر النحاة لـــ "على" معان كثيرة، منها :

- الاستعلاء (وعليها وعلى الفلك يحملون) [المؤمنون ٢٢]
- الظرفية (على حين غفلة) [القصص ١٥]
- المجاوزة *إذا رضيت على بنوقشير*
- المصاحبة[١] بمعنى "مع" (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم [الرعد ٦]

ويفصل ابن يعيش القول فى "على"، فيقول : "٠٠٠ وهو ما يكون حرفاً واسما ٠٠٠ فإن كانت حرفا دلت على الاستعلاء، فيما دخلت عليه، كقولـك : زيد على الفرس، فزيد هو المستعلى على الفرس. و "على" أفادت هذا المعنى فيه، ومن ذلك : على زيد دين، كأنه شئ قد علاه، فالمســتعلى عليــه زيــد، وكذلك فلان علينا أمير، لاستعلائه من جهة الأمر ٠٠٠ فأما قولهم: مـــررت عليه فاتساع، وليس فيه استعلاء حقيقة، إنما جرى كالمثل، ويجوز أن يكـــون

[١] انظر : أوضح المسالك : ٣/٤٠-٤٢، المغنى : ١/١٤٢-١٤٥.

مروره على مكانه، فيكون فيه استعلاء ٠٠٠ وأما إذا كـانت اسـما فتكـون ظرف مكان بمعنى الجهة، ويدخل عليها حرف الجر ٠٠ نحو : نهضت مـن عليه، أي من فوقه."[١].

هذا من نظر النحاة فى "على"، يشرح معنى الاسـتعلاء فيـها، حقيقـة ومجازا، فضلا عن أوجه استعمالاتها بين الحرفية والاسمية، والفعليـة، وإن كان ما نقلنا لم يتضمن معنى الفعلية، لكنه منصوص عليه على أية حال.

فإن كان هذا بعض نظر النحاة فماذا يا ترى عن نظر المفسرين ؟ هـذا ما سنحاول الإجابة عنه بإذن الله ونحن ندرس هذه النصـوص مـن سـورة الإنسان.

وقوله تعالى : (هل أتى على الإنسان)

يقول الشيخ الرازى : "حين فيه قولان : الأول : أنه طائفة من الزمـن الطويل الممتد وغير مقدر فى نفسه. والثانى : أنـه مقـدر بـالأربعين ٠٠٠ وروى عن ابن عباس أنه بقى طينا أربعين سـنة وأربعيـن مـن صلصـال وأربعين من حمأ مسنون ٠٠٠، فهو فى هذه المدة ما كان شيئا مذكورا."[٢].

ويقول أبو حيان : "والحين الذى مر عليه، إما حين عدمه، وإما حيـن كونه نطفة، وانتقاله من رتبة إلى رتبة ٠٠"[٣].

مما تقدم يتبين ما يأتى :

١ - "أتى" تكون فى معنى (مر).

---

[١] شرح المفصل : ٨/٣٧-٣٨.
[٢] مفاتيح الغيب : ٣٠/٢٠٨.
[٣] البحر المحيط : ٨/٣٩٣.

٢ – المأتى عليه، أو الممرور عليه، هو الإنسان، وهذا فى معنى الاستعلاء.
٣ – إن معنى الاستعلاء هنا من قبيل الاتساع – كما قال ابن يعيش – الذى جرى كالمثل، وقوله : (ويطعمون الطعام على حبه).

يقول ابن كثير : "٠٠ قيل : على حب الله تعالى، وجعلوا الضمير عائدا إلى الله عز وجل لدلالة السياق عليه، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أى : ويطعمون الطعام فى حال محبتهم وشهوتهم له. قاله مجاهد : ومقاتل، واختاره ابن جرير ."[١].

ويقول الشيخ الرازى : "(على حبه) فيه وجهان : أحدهما : أن يكون الضمير للطعام، أى : مع اشتهائه والحاجة إليه ٠٠٠٠ والثانى : قال الفضل بن عياض : على حب الله، أى : لحبهم الله، و "اللام" قد تقام مقام "على"، وكذلك تقام "على" مقام "اللام"."[٢].

ويقول أبو حيان : "وقيل : النذر هنا عام، لما أوجبه الله تعالى، وما أوجبه العبد، فيدخل فيه الإيمان وجميع الطاعات على حبه، أى : على حب الطعام، إذ هو محبوب للفاقة والحاجة، قاله ابن عباس ومجاهد. أو على حب الله، أى : لوجهه، وابتغاء مرضاته ٠٠ والأول أمدح، لأن فيه الإيثار على النفس. وأما الثانى فقد يفعله الأغنياء أكثر."[٣].

بعد هذه النصوص، كيف نرى "على" ؟

تتراءى لنا "على" على هذا النحو :

---

[١] تفسير القرآن الكريم : ٤/٤٥٤.
[٢] مفاتيح الغيب : ٣٠/٢١٧.
[٣] البحر المحيط : ٨/٣٩٥.

أولا : إن كان الضمير فى "حبه" عائدا على الطعام، فإننى أرى "على" فى معنى الاستعلاء من طريق المجاز، لأنه استعلاء على الشهوة والحاجة إليه، ومن ثم فهو ارتقاء بالنفس يحررها من أطايب الملذات المحببة إليه، بله ما لا يمكن الاستغناء عنه.

ثانيا : وإن كان عائدا على الله سبحانه، فتكون "على" علة لإطعام الطعام لأنها تصبح إجابة عن سؤال : لما ؟. ولذلك قال أبو حيان : "... على حب الله، أى : لحبه، وابتغاء مرضاته، أى أن المفعول من أجل الله حب.

ثالثا : إن مسألة تحديد معنى الحرف مرهونة – إذا – بفهم السياق. ومن ثم لا أحسب قول الشيخ الرازى بتبادل المعنى بين "على" و "اللام" من قبيل الترادف، إنما هو – فى رأيى – يبدأ من فهم السياق، فتتغير وجهة الحرف بقوة السياق، لا بقوة تردده بين معانى الحروف الأخرى.

وقوله تعالى : (متكئين فيها على الأرائك ..) [الإنسان ١٣]
(ودانية عليهم ...) [الإنسان ١٤]

يقول ابن كثير : "... الخلاف فى الاتكاء، هل هو الاضطجاع، أو التمرفق، أو التربع، أو التمكن فى الجلوس، وأن الأرائك، هى السرد، تحت الحجال."[١]

ويقول الشيخ الرازى : ".. ثم إن المعتبر فى المساكن أمور : أحدها : الموضع الذى يجلس فيه، فوصفه بقوله (متكئين فيها ..) وهى السرر فى الحجال ..."[٢]

[١] تفسير القرآن العظيم : ٤٥٦/٤.
[٢] مفاتيح الغيب : ٢١٩/٣٠.

ويقول أبو حيان : "وقرأ الجمهور : ودانية. قال الزجاج : هـــو حـــال، عطفا على متكئين. وقال أيضا : يجوز أن يكون صفة للجنة ٠٠٠ ودخلـــت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم، كأنه قيل : وجزاهم جنة، جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر، ودنوا الظلال عليهم."[١]. وكذلك قال الفـــراء : "جزاؤهم جنة متكئين فيها، ودانية ظلالها٠"[٢]

نستنتج ما يأتى :

أولا : الهيئة الموصوفة فى الجلوس دليل الاستواء، ولا يكون الاســـتواء إلا لمستعل ومستعلى عليه، ومن ثم يكون الاستعلاء حقيقيا.

ثانيا : والدنو للظلال دليل الاستعلاء الحقيقى، لأنهم يستظلون بها.

ثالثا : لا ينصرف الحرف (على) إلى معنى آخر، لأن المعنى الذى جاء من أجله حقيقى. يؤكد هذا قوله الشيخ الرازى عن الولـــدان المخلديـــن : "وكأنهم يلبسون عدة من الثياب فيكون الذى يعلوها أفضلها، ولهذا قال : (عاليهم). وقيل هذا من تمام قوله : (متكئين فيها علـــى الأرائـــك) ٠٠"[٣].

وقوله تعالى : (ويطاف عليهم بآنية ٠٠) [١٥]
(ويطوف عليهم ولدان ٠٠) [١٩]

يبدو أن استعمال الفعل (طاف) هنا للدلالة على القيام بالخدمة برفـــق، وهذا مناسب للموقف على ما أظن. ذلك أن الطواف فى اللغة "الخادم يخدمـك برفق وعناية"[٤] وهذا من جملة معان كثيرة لمادة الفعل. ولعل من العناية فـــى

---

[١] البحر المحيط : ٣٩٦/٨.
[٢] معانى القرآن : ٢١٦/٣.
[٣] مفاتيح الغيب : ٢٢٤/٣٠.
[٤] القاموس المحيط : مادة (طوف).

الخدمة التأنق فى المأكل والمشرب والآنية. ولذلك يقـــول ابـــن كثـــير : "أى يطوف عليهم الخدم بأوانى الطعام، وهى من فضة، وأكواب الشراب ٠٠٠"[١]، فضلا عن الطائفين، وهم الولدان المخلدون. "وتشبيه الولدان باللؤلؤ المنثـــور فى بياضهم وصفاء ألوانهم، وانتشارهم فى المساكن فى خدمة أهـــل الجنـــة، يجيئون ويذهبون."[٢].

خلاصة هذه النصوص :

١ - ليس الحرف "على" هنا من قبيل الاستعلاء لا حقيقة ولا مجازا.
٢ - عدم الانقطاع عن الخدمة ليشمل كل أهل الجنة.
٣ - كان الحرف "على" دليلا على هذا المعنى.

---

[١] تفسير القرآن العظيم : ٤٥٦/٤.
[٢] البحر المحيط : ٣٩٨/٨.

المبحث الرابع
فى

جاء حرف الجر "فى" فى سورة الإنسان فى المواضع الآتية :

قوله تعالى :

(ويسقون فيها كأسا) [١٧]

(عينا فيها تسمى سلسبيلا) [١٨]

(يدخل من يشاء فى رحمته) [٣١]

هذا الحرف عند النحاة له معان كثيرة، جعلوا أحدها أساسا لفهم بعض الأبواب فى النحو، كالظرف، زمانا ومكانا. يقول سيبويه : "وأما "فى" فهى للوعاء. تقول هو فى الجراب، ... وهو فى بطن أمه .. وكذلك هو فى القبة، وفى الدار. وإن اتسعت فى الكلام فهى على هذا ."[١] فهذا ضابط الظرفية فى الكلمة، ومن ثم جعلها النحاة أهم معانيها .. يضاف إلى ذلك:

- المصاحبة (ادخلوا فى أمم) [الأعراف ٣٨]
- التعليل (فذلكن الذى لمتننى فيه) [يوسف]
- الاستعلاء (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) [طه ٧١]
- مرادفة إلى (فردوا أيديهم فى أفواههم)[٢] [إبراهيم ٩]

وغير ذلك مما حوته كتب النحو.

وأخال ابن يعيش قد أحسن القول فى معانى "فى" التى يردها إلى الظرفية والوعاء فى الحقيقة، ثم ما خرج عن الحقيقة إلى المجاز، يرده إلى الأصل فيها، فى منطق بعيد عن التعسف. إنه يقول على سبيل المثال : "أما

---

[١] الكتاب : ٣٠٨/٢.

[٢] المغنى : ١٦٨/١-١٦٩.

"فى" فمعناها الظرفية والوعاء، نحو قولك : الماء فى الكـــأس، وفـــلان فـــى البيت، إنما المراد أن البيت قد حواه، وكذلك الكأس ٠٠ هذا هو الأصل فيــها. وقد يتسع فيها، فيقال : فى فلان عيب ٠٠٠ جعلت الرجل مكانا للعيب يحتويه مجازا أو تشبيها ٠٠ ومن ثم قولهم : فى هذا الأمر شك، جعل الأمر كالمكان، لاشتماله على الشك ٠٠٠ وأما قوله تعالى : (ولأصلبنكم فى جذوع النخـــــل) [طه ٧١] فليست فى معنى "على"، على ما يظنه من لا تحقيق عنده. ولما كان الصلب بمعنى الاستقرار والتمكن عدى بـــ (فى)، كما يعدى الاستقرار، فكمـــا يقال : تمكن فى الشجرة، كذلك ما هو فى معناه، نحو قول الشاعر[١] :

بطل كأن ثيابه فى سرحة
يحذى فعال السبت ليس بتوءم

لأنه قد علم أن الشجرة لا تشق وتستودع الثياب، وإنما المراد استقرارها فى سرحه."[٢] هذا نص طويل ولا ريب، لكنه ألزم ما يكـــون علـــى طولـــه، لتفسيره معانى "فى" تفسيرا أحسبه قريبا مما أتى به المفسرون، دليـــــل ذلـــك كلامه عن قوله تعالى : (ولا صلبنكم فى جذوع النخل). كما رأينا. على أيـــة حال نرى ما سيقوله المفسرون فيما وقفنا عليه من الآيات المتضمنــــة لـــهذا الحرف فى سورة الإنسان.

قوله تعالى : (ويسقون فيها كأسا)
(عينا فيها تسمى سلسبيلا)

---

[١] هو عنترة بن شداد. والبيت من إحدى معلقاته، شرح المفصل : ٢١/٨ (هامش).
[٢] شرح المفصل : ٢٠/٨-٢١.

يقول ابن كثير : "٠٠٠ ويسقون يعنى الأبرار ٠٠٠ وقال ههنا : (عينا تسمى سلسبيلا) أى الزنجبيل عين فى الجنة تسمى سلسبيلا."[١]

وينقل أبو حيان عن قتاده : "الزنجبيل اسم لعين فى الجنة. يشرب منها المقربون."[٢]

يتضح من النصوص ظرفية المكان فى "فى" إذ الجنة :

- ظرف السقى.
- وظرف لوجود العين.

فالظرفية – إذا – ظرفية حقيقية.

وفى قوله : (يدخل من يشاء فى رحمته).

أحسبه من قول ابن يعيش : "وقد يتسع فيها – أى "فى" فيقال : فى فلان عيب ٠٠٠ جعلت الرجل مكانا للعيب يحتويه، مجازا، أو تشبيها ٠٠". وعلى ذلك تكون الرحمة ظرفا من طريق المجاز، أو التشبيه، يحتوى الداخلين فيه بمشيئة الله، ذلك كما يرى الشيخ الرازى، إذ يقول : "إن فسرنا الرحمة بالإيمان، فالآية صريحة فى أن الإيمان، فالآية صريحة فى أن الإيمان من الله."[٣]. وإن كان المقصود بالرحمة الجنة، كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله، لا بسبب الاستحقاق"[٤]. وهنا تكون الظرفية ظرفية حقيقية.

ولعل المقام يتحضر قول الله تعالى : (ولاصلبنكم فى جذوع النخل) [طه ٧١]؛ إذ تتراءى لنا "فى" فى كلام المفسرين على نحو مذهب ابن يعيش فى

---

[١] تفسير القرآن العظيم : ٤/٤٥٦.
[٢] البحر المحيط : ٤/٣٩٨.
[٣] مفاتيح الغيب : ٣٠/٢٣٢.
[٤] مفاتيح الغيب : ٣٠/٢٣٢.

النص الذى تقدم يقول الشيخ الرازى : "فشبه تمكن المصلوب فى الجذع بتمكن الشئ الموعى فى وعائه، فلذلك قال: (فى جذوع النخل). والذى يقال فى المشهور أن "فى" بمعنى "على" فضعيف"[١]. ويقول أبو حيان : "والتصليب فى الجذوع التمثيل بهم. ولما كان الجذع مقرا للمصلوب، واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف، عدى الفعل بـ (فى) التى للوعاء. وقيل "فى" بمعنى "على". وقيل نقر فرعون الخشب، وصلبهم فى داخله، فصار ظرفا لهم حقيقة، حتى يموتوا فيه جوعا وعطشا."[٢]

نستخلص من النصوص ما يأتى :-

أولا : الأصل فى "فى" أن تكون ظرفا ووعاء، وهى من طريق المجاز والتشبيه متضمنة هذا المعنى أيضا.

ثانيا : ربما كان تفسير الحقيقة والمجاز فى "فى" منوطا بالكلمة التى بعدها، أو باحتمال تأويلاتها.

ثالثا : المبالغة فى الفعل من معانى "فى" التى يجلبها السياق، وليس من معانى حرف آخر يزادفه. ولذلك ضعف الشيخ الرازى هذا القول، فلم يجعل "فى" فى معنى "على". وظهر هذا فى كلام أبى حيان أيضا.

---

[١] مفاتيح الغيب : ٧٦/٢٢.

[٢] البحر : ٢٦١/٦.

المبحث الخامس

اللام

اللازم فى سورة الإنسان جاءت فى قوله تعالى :

(إنما نطعمكم لوجه الله) [٩]

(إن هذا كان لكم جزاء ٠٠) [٢٢]

(فاصبر لحكم ربك ٠٠) [٢٤]

ومن الليل فاسجد له) [٢٦]

ربما كانت اللام أكبر الحروف ترددا بين كثير من المعانى، حيث سجل لها النحاة رصيدا كبيرا منها، وإن كان الزمخشرى لم يذكر لـــــها إلا معنـــى واحدا، هو الاختصاص[١] الذى يراه غيره[٢] متضمنا لمعنيين آخرين، هما :

الملك

الاستحقاق

ويذهب ابن يعيش إلى أن "اللام" أصل حروف الإضافـــة؛ لأن أخلــص الإضافات وأصحها إضافة الملك إلى المالك ٠٠٠"[٣]. إلى غير ذلك مما يطول معه الحديث فى غير موضعه.

والآن مع هذه اللام فى هذه الآيات الكريمة من سورة الإنسان.

قوله تعالى : (إنما نطعمكم لوجه الله).

---

[١] الزمخشرى : المفصل : ص : ٢٨٦.

[٢] انظر العلوى "أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن إبراهيم": كتاب الطـــراز المتضمـــن لأمـــراء البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ٢/٥٤١، دار الكتب الخديوية ١٩١٤م.

[٣] شرح المفصل : ٢٦/٨.

يقول الشيخ الرازى : "... تحصيل رضا الله. وهو المراد بقوله : (إنما نطعمكم لوجه الله)"[١] ويقول : "... القوم لما قالوا : (إنما نطعمكم لوجه الله) بقى فيه احتمال أنه أطعمه لوجه الله ولسائر الأغراض على سبيل التشريك.."[٢].

ويقول ابن كثير : ".. أى رجاء ثواب الله"[٣].

ويقول أبو حيان : (إنما نطعمكم لوجه الله) هو على إضمار القول، ويجوز أن يكونوا صرحوا به خطابا للمذكورين منعا منهم، وعن المجازاة بمثله، أو الشكر، لأن إحسانهم مفعول لوجه الله تعالى."[٤].

أرى اللام من خلال هذه النصوص فى معنى :

١ - التحصيل، ويقصد به جماع أفعال الخير المذكورة فى هذا المقام القاصدة لتحصيل رضا الله سبحانه.

٢ - والتعليل للإطعام، الذى هو رجاء الثواب.

وقوله : (إن هذا كان لكم جزاء)

يقول الشيخ الرازى : "قال ابن عباس : المعنى أنه يقال لأهل الجنة بعد دخولهم فيها، ومشاهدتهم لنعيمها : إن هذا كان لكم جزاء قد أعده الله تعالى لكم إلى هذا الوقت، فهو كله لكم بأعمالكم على قلة أعمالكم، كما قال حاكيا عن الملائكة أنهم يقولون لأهل الجنة (سلام عليكم ..) [الرعد ٢٤] ... والغرض من ذكر هذا الكلام أن يزداد سرورهم، فإنه يقال للمعاقب : هذا

---

[١] مفاتيح الغيب : ٢١٧/٣٠.

[٢] مفاتيح العلوم : ٢١٨/٣٠.

[٣] تفسير القرآن العظيم : ٤٥٥/٤.

[٤] البحر : ٣٩٥/٨.

بعملك الردىء فيزداد غمه ٠٠٠ ويقال للمثاب : هذا بطاعتك، فيكــون ذلــك نهنئه له وزيادة فى سروره٠٠"[١].

ويقول أبو حيان : "٠٠ النعيم السرمدى كان لكم جزاء، أى لأعمــالكم الصالحة ٠٠٠ وهذا القول لهم هو على سبيل التهنئة والسرور لهم، بضد مــا يقال للمعاقب."[٢]

من هذا الذى نقلناه يتضح لى ما يأتى :

أولا : اللام فى معنى الاستحقاق بعد المشاهدة والعيان. وهــو مــن أصــل معانى اللام، كما أشار إلى ذلك بعض النحاة.

ثانيا : ملازمة السرور للاستحقاق.

ثالثا : كما تكون اللازم تهنئة على فوز، ولذلك يمكن أن نقول : إن هذا كان تهنئة. وقوله : (فاصبر لحكم ربك).

يقول الفخر الرازى : "٠٠٠ فاصبر فى كل ما حكم به ربك سواء كــان ذلك تكليفا خاصا بك من العبادات والطاعات، أو متعلقــا بــالغير٠٠"[٣]. ثــم يضيف أن كل ذلك "أمر بالمأمورات"[٤]. ويقول أبو حيان : "فقال (إنا نحن نزلنا عليك القرآن)، وأمره بالصبر بحكمه."[٥]

نقول بعد ذلك : إن اللام يمكن أن تكون فى :

١ - معرض الخضوع والصدع بالأمر.

---

[١] مفاتيح الغيب : ٢٢٦/٣٠.

[٢] البحر : ٤٠١/٨.

[٣] مفاتيح الغيب : ٢٢٨/٣٠.

[٤] مفاتيح الغيب : ٢٢٨/٣٠.

[٥] البحر : ٤٠١/٨.

٢ - ويكون ذلك فى عقب تكليفات من لدنه سبحانه.

٣ - كما لا تكون هنا بمعنى اختصاص ولا ملك ولا استحقاق، لأننا لم نلمح فى السياق دلالة على ذلك.

قوله : (ومن الليل فاسجد له).

يقول الشيخ الرازى :"٠٠ أمر، وهو للوجوب لا سيما إذا تكرر على سبيل المبالغة."[١] جعل اختصاص السجود له سبحانه. وربما كان الاستحقاق من معانى اللام هنا. وهو حقيقة، وليس مجازا. وإن كان الشلوبين يرى الاستحقاق من طريق المجاز[٢]. وهو يقصد فيما أظن أن الاستحقاق يمكن أن يكون حقيقة ومجازا.

خلاصة النظر فى اللام :

١ - إفادة التحصيل على النحو الذى بينا.

٢ - كما تفيد الاستحقاق الذى يلازمه السرور أحيانا.

٣ - وتتضمن التهنئة على فوز مستحق.

٤ - وقد تدل على الخضوع والصدع بالأمر.

٥ - إن هذه المعانى التى رأيناها للام ما خلا الاستحقاق، لم يتحدث عنها النحاة، مما عساه يؤكد أهمية الدرس فى النص القرآنى الكريم.

---

[١] مفاتيح العلوم : ٢٢٩/٣٠.

[٢] الشلوبين "أبو على" : التوطئة، ص : ٢٣٠ تحقيق يوسف أحمد المطاوع، دار التراث العربى للطباعة والنشر.

المبحث السادس

من

"من" فى سورة الإنسان فى قوله تعالى :

(هل أتى على الإنسان حين (من) الدهر) [١]

(إنا خلقنا الإنسان (من) نطفة أمشاج) [٢]

(إن الأبرار يشربون (من) كاس ٠٠٠) [٥]

(إنا نخاف (من) ربنا يوما عبوسا ٠٠) [١٠]

(ويطاف عليهم بآنية (من) فضة ٠٠) [١٥]

(أساور (من) فضة ٠٠٠) [٢١]

عد ابن هشام لـــ (من) خمسة عشر وجها. منها [١] :

١ – ابتداء الغاية، وهو الغالب عليها ٠٠٠ نحـــو (مـــن المســـجد الحـــرام) [الإسراء ١] و (إنه من سليمان) [النمل ٣٠]

٢ – التبعيض، نحو : (منهم من كلم الله) [البقرة ٢٥٣]

٣ – بيان الجنس : (ما ننسخ من آية) [البقرة ١٠٦]

٤ – التعليل : (مما خطيئاتهم ٠٠) [نوح ٢٥]

٥ – موافقة "فى" (أرونى ماذا خلقوا من الأرض [فاطر ٤٠]

٦ – موافقة "عند" (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) [١] [آل عمران ١٥]

إلى آخر ما عد ابن هشام.

---

[١] انظر المعنى : ١/٢١٨-٢١٩.

وقد ذهب سيبويه إلى أن الأصل فى "من" ابتداء الغاية، وما جاء من معان أخرى راجع إليها[١]. وهذا قول المبرد أيضا[٢].

يعد هذا الإيجاز من أقوال من ذكرنا من النحاة، نقدم من نصوص المفسرين ما قد يضع أيدينا على معان لم ترد عند النحاة.

قوله تعالى : (٠٠٠ حين من الدهر).

يقول الشيخ الرازى : "حين فيه قولان : الأول : أنه طائفة من الزمن الطويل الممتد ٠٠٠ والثانى : أنه مقدر ٠٠٠"[٣]

ويقول أبو حيان : "والحين الذى مر عليه، إما حين عدمه، وإما حين كونه نطفة، وانتقاله من رتبة إلى رتبة ٠٠٠".[٤]

هنا يخيل لى أن "من" فى معنى التبعيض، ذلك أن الحين الذى ذكر، يمثل مراحل مختلفة فى حياة الإنسان، كما ورد فى كتابات المفسرين.

وقوله تعالى : (إنا خلقنا الإنسان من نطفة ٠٠).

يقول أبو حيان : "٠٠٠ الإنسان هو جنس بنى آدم، لأن آدم لم يخلق من نطفة أمشاج أخلاط، وهو وصف للنطفة"[٥].

معنى ذلك أن "من".

١ - لإفادة الجنس.

---

[١] انظر : الكتاب : ٣٠٧/٢.

[٢] المقتضب : ٤٤/١.

[٣] مفاتيح الغيب : ٢٠٨/٣٠.

[٤] البحر : ٣٩٣/٨.

[٥] البحر : ٣٩٣/٨.

٢ - الأمشاج وصف للنطفة.
٣ - ولأن الأمشاج وصف للنطفة، والنطفة أصل الإنسان، فذاك دليل على أن معنى "من" فى معنى الجنس، وهو من المعانى التى ذكرها النحاة.

وقوله : (إن الأبرار يشربون من كأس).

يقول أبو حيان : "(من) لابتداء الغاية."[1]. بمعنى أن أول شربهم من كأس موصوف بأن مزاجها كافور. ويرى ابن هشام أن ابتداء الغاية "هو الغالب عليها، حتى ادعى جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه."[2]. وذكر الزركشى اتفاق النحاة "على كونها لابتداء غاية المكان، واختلفوا فى الزمان."[3]

وعلى ذكر الغاية الزمانية والمكانية، أرى "من" هنا ليست مقصورة على واحدة منهما، وإنما جاءت متضمنة للغايتين، لأن المشرب مشرب الأبرار، فهو دائم لا ينقطع، لا ينفك فيه زمان عن مكان. ولذلك يمكن أن نقول إن أهم ما يخلص لنا – فى رأيى – فى هذه الآية الكريمة إفادة (من)

لـ (الجمع بين الغاية الزمانية والمكانية فى آن واحد).

وذلك إذا كان للفعل صفة الدوام على الموقوع عليه.

وقوله تعالى : (إنا نخاف من ربنا يوما ...)

يقول الرازى : "... ولما حكى عنهم الإطعام، علل ذلك بأمرين: بطلب رضا الله، وبالخوف من القيامة، فما السبب فيه ؟ قلنا : الإيفاء بالنذر دخل فى حقيقة طلب رضا الله تعالى، وذلك لأن النذر الذى أوجبه الإنسان

---

[1] البحر : ٣٩٥/٨.
[2] المغنى : ٣١٨/١.
[3] البحر المحيط : ٢٩٠/٢.

على نفسه، لأجل الله، فلما كان كذلك لا جرم، ضم إليه خوف القيامة فقط، أما الإطعام فإنه لا يدخل فى حقيقة طلب رضا الله، فلا جرم ضم إليه طلب رضا الله وطلب الحذر من خوف القيامة."[1]

ربما نفهم من هذه الآية الكريمة ما يأتى :

١ - "من" علة.

٢ - المعلل :

أ - طلب رضا الله.

ب - الحذر من خوف القيامة.

وهذا المعنى مما قال به النحاة أيضا.

قوله تعالى :

(ويطاف عليهم بآنية من فضه)

(أساور من فضة)

يقول ابن كثير : "٠٠أى يطوف عليهم الخدم بأوانى الطعام وهى من فضة ٠٠"[2] تقدم عام. وهو الأوانى والأساور، وتأخر خاص، وهو الفضة فى الحالين.

فعلى ذلك تكون "من" لإفادة الجنس.

بعد هذه النصوص تظهر المعانى التالية لـ "من" :

أولا : بيان الجنس فى قوله تعالى :

(إنا خلقنا الإنسان من نطفة)

---

[1] مفاتيح الغيب : ٢١٨/٣٠.

[2] تفسير القرآن العظيم : ٤٥٦/٤.

(ويطاف عليهم بآنية من فضة)

(أساور من ذهب)

وهذا المعنى ونحوه كالتبعيض والعلة، لم يختلف فيه النحاة والمفسرون بمعنى أنهم لم يقولوا بالترادف فيه، لأنها كما يبدو لى – معان عامة لا يختلف فيها فى الأغلب.

ثانيا : الجمع بين الغاية الزمانية، والغاية المكانية فى آن واحد.

ثالثا : العلة على النحو الذى بيناه.

الخاتمـــــــة

انتهى البحث، ولم ينته التفكير فيه، ذلك أننا ضيقنا ميدان الدرس فيــــه، حين التمسناه فى سورة من قصار السور فى القرآن الكريم. ولم ينته التفكــير فيه لأنه جدير، أن يتسع هذا الأفق ليحلق فيه من يوفــــون القــدر، ويعلـــون المنزلة، بما أوتوا من كشف، ينأى بهم عن عى، وعن حقر.

هذا الدرس توفرنا فيه على دراسة معانى حروف الجـــر فـــى ســـورة الإنسان وقدمنا نماذج عرض لها النحاة فى مصنفاتهم ليثبتوا نظرهم من خلال هذه النماذج. وأعنى بهذا النظر تلك الآيات التى تضمنت بعض حروف الجر، وذهبوا إلى القول بالترادف فيها فضلا عن معانيها فى السياق. وقد ألمحنا إلى بعض ما قالوه من خلال النصوص التى قدمناها.

ولذلك لم يكن بد من عرض لبعض أقوال المفسرين فى هذا الصدد لعلنا نقف على حقيقة ما وقف عليه النحاة والمفسرون فى هذه المسألة. وعلى ذلـك تراءت لنا هذه النتائج.

أولا : القول بترادف معانى حروف الجر فى القرآن الكريم، لم تؤيده أقوال المفسرين، كما رأينا من خلال النصوص.

ثانيا : ظهرت لنا معان لبعض حروف الجر، ذكرها المفسرون بطريقـــة مباشرة، أو ربما جهدنا فى استنباطها. مثال ذلك معنى : "المـــزج" فى قوله تعالى : (يشرب بها)، ومعنى : "الصلة"، حيث كانت البـاء صلة الشراب الممزوج. ورأينا الباء فى معرض الالتزام بما قطـــع على النفس.

وعن "فى" رأينا الفعل قبلها فى معنى المبالغة، وهو معنـــى منـــوط بالسياق فى رأينا. ولذلك وجدنا (لأصلبنكم) فى سورة طه دليلا على

هذا، ولم تكن "في" بمعنى "على"، وإنما كان معناها مؤكـــدا لـــهذه المبالغة، كما أشار إلى ذلك المفسرون.

ثالثا : ومن المعانى التى استحدثها المفسرون وجاءت فى نصوصهم :

- التحصيل من معانى اللام.
- والتهنئة على فوز مستحق.
- الخضوع والصدع بالأمر.

رابعا : الجمع بين العلة الزمانية، والعلـــة المكانيـــة فـــى آن واحـــد مـــن اختصاص (من).

خامسا : إن بعض المعانى، كالجنس، والعلة، والتبعيض، قضايا لم يختلـــف عليها النحاة والمفسرون.

سادسا : كان محك الخلاف بين الطرفين انتقال معنى الحروف بينها وبيـــن بعضها.

هذا ما جهد فيه الفكر. أرجو أن يكون على قدر أن تلتفت إليه الأنظار.
والله من وراء القصد .

فى ١٨ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ
٢٠٠٤/٨/٤م

سعد حسن حمودة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

- ابن الحاجب (جمال الدين أبو عمرو عثمان ت ٦٤٦هـ) :
شرح الكافية ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

- الرازى (فخر الدين ت ٦٠٤هـ) :
مفاتيح الغيب – الطبعة الأولى ١٩٩٠م – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان.

- الزركشى "بدر الدين محمد بن بهاء عبد الله الشافعى ت ٧٩٤هـ" :
البحر المحيط فى أصول الفقه – الطبعة الأولى ١٩٨٩م – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية / الكويت.

- الزمخشرى (جار الله محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ) :
الكشاف – دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان.

- سيبويه (أبو بشر عمرو ت ١٨٨هـ) :
الكتاب – الطبعة الأولى ١٣١٦هـ – بولاق – مصر.

- الشلوبين (أبو على) :
تحقيق يوسف أحمد المطاوع ، دار التراث العربى للطباعة والنشر.

- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل ت ٧٦٩هـ) :
شرح ابن عقيل – بدون دار نشر ولا سنة طبع.

- العلوى (أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن إبراهيم) :

كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقــائق الإعجــاز – دار الكتب الخديوية ١٩١٤م.

- الفيروز بادى (مجد الدين محمد بن يعقوب) :
القاموس المحيط – الطبعة الثانية ١٩٩٢م – البابى الحلبى – مصر.

- ابن كثير (الحافظ عماد الدين ت ٧٧٤هـ) :
تفسير القرآن العظيم – دار التراث العربى – القاهرة.

- ابن هشام (جمال الدين ت ٧٦١هـ) :
أوضح المسالك – منشورات المكتبة العربية – صيدا – بيروت.
المغنى – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة ومطبعة محمــد على صبيح – القاهرة.

- ابن يعيش (موفق الدين ت ٦٤٣هـ) :
شرح المفصل – مكتبة المثنى – القاهرة.